

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيدته الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٩/٣/٨ م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. آمين.

هناك صحابي بدري اسمه قيس بن محصن الأنصاري، وروي أن اسمه قيس بن حصن أيضاً. وكان من الأنصار من بني زريق. أمه أنيسة بنت قيس، وأبوه محصن بن خالد، شهد قيس بدرًا وأُحُدًا، كان له من الولد أم سعد بنت قيس، وتوفي وله عقب بالمدينة.

الصحابي الآخر هو جبير بن إياس، أبوه إياس بن خلدة. شهد بدرًا، وكان من بني زريق أحد فروع الخزرج. وقال عبد الله بن محمد بن عمارة: هو جبير بن إياس. وقد ورد في رواية أخرى أن اسمه جبر بن إياس أيضاً.

لقد ورد في الأحاديث أن يهوديا سحر النبي ﷺ والعياذ بالله، وتأثر به النبي ﷺ، فقد ورد في الروايات أنه سحره يهودي على مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وألقاه في بئر ذي أروان، فخرج إليها النبي ﷺ فأخرجه من هناك. ولقد ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري أن جُبَيْرَ بْنَ إِيَاسٍ هُوَ مَنْ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ بئرِ ذِي أروان. وفي رواية أن قيس بن محصن استخرجه ولأجل ذلك ذكرت هذين الصحابين معاً، فهما اللذان يقال عن كل واحد منهما أنه أخرج هذه الأشياء من البئر. هذا ليس هاماً كثيراً، إنما الأهم هو السؤال: هل سحر النبي ﷺ ووقع تأثير السحر عليه؟ ما حقيقة الأمر؟ وما هو رأينا في القضية؟ وينبغي أن نعرف ذلك. ومن واجبا أن نرد على كل اعتراض يقع على شخصية النبي ﷺ أو ما يثيره الناس ضده ﷺ، لذلك فإنني سأتناول الأمر بشيء من التفصيل الوارد في أدبيات الجماعة. وسأذكره من خلال ذكر هذين الصحابين.

لقد تناول المصلح الموعود ﷺ هذه الواقعة في بداية تفسيره لسورة الفلق فذكر عن هذه السورة آراء الناس؛ حيث قال بعضهم إن سورة الفلق والناس مكيتان، وقال بعضهم إنهما مدنيتان، أي نزلتا في المدينة. ويقول المصلح الموعود ﷺ: والذين اعتبروا سورة الفلق مدنية دليلهم أنها والسورة

التالية لها نزلتا في مرض النبي ﷺ الذي قالوا أنه أصيب به نتيجة سحر اليهود له، فكان يدعو بهما وينفث على جسمه.

هذا ما ذكره المصلح الموعود ﷺ، وهو أن المفسرين يقولون: لما كان هذا الحادث قد وقع في المدينة، فهما مدنيتان. فالمرجح عندهم أنهما مدنيتان، أي نزلتا في المدينة.

يقول المصلح الموعود ﷺ: هذا هو استدلال المفسرين، وليس معه أي شهادة تاريخية. وليس بأيدينا أيضاً شهادة تاريخية يقينية على أن هذه السورة مكية، غير أن الاستدلال الذي قاموا به واهٍ جداً؛ إذ من الممكن أن تكون هذه السورة قد نزلت في مكة، وكان النبي ﷺ يقرأها في مرضه في المدينة وينفث في يديه. ولا يستقيم الاستدلال على أنها نزلت في المدينة لمجرد قراءة النبي ﷺ لها فيها.

أما حادث مرض الرسول ﷺ الذي ظنّ الناس أنه كان بسبب سحر اليهود فقد ذكر في الرواية التالية (وقد قال المصلح الموعود ﷺ في بداية تفسير سورة الفلق: وبما أن المفسرين رجحوا رواية عائشة رضي الله عنها لذلك نذكر هذه الرواية فحسب).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيّل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا الله ثم دعا ثم دعا، ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال مطبوب. قال: من طبه؟ قال لييد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشطٍ ومشاطةٍ وجفّ طلعةٍ ذكر. قال: فأين هو؟ قال في بئر ذي أروان. قالت: فأثأها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه. ثم قال: يا عائشة، والله لكان ماءها نقاعة الحنّاء ولكأنّ نخلها رءوس الشياطين (لقد وضع المصلح الموعود ﷺ لاحقاً هذا الأمر وقال: يبدو أنه كان من عادة اليهود أنهم إذا سحروا أحداً ألقوا الحنّاء أو ما شابهه في الماء، إيهاماً للناس بأن الماء قد احمرّ بقوة السحر. أي كانوا يفعلون ذلك بتدبير ظاهري لإغواء بسطاء من الناس. ثم قال المصلح الموعود ﷺ بخصوص "لكأن نخلها رؤس الشياطين" يبدو أن النخل حول البئر كانت ذات طلوع وكأها رؤوس الشياطين. فهنا شبه طلوع النخل وكأها رؤوس الشياطين)

تقول عائشة فقلت: يا رسول الله، أفلا أحرقته أي ذلك الشيء الذي سحروا به؟ قال لا، أما أنا فقد عافاني الله تعالى، وكرهت أن أُثيرَ على الناس شراً. فأمرتُ بها فدُفنتُ.

يقول المصلح الموعود عليه السلام عن رواية عائشة رضي الله عنها: يبدو أن الرجلين المذكورين فيها اللذين جاءا إلى النبي صلى الله عليه وآله هما ملكان رآهما النبي صلى الله عليه وآله، فإن كانا رجلين لرأتهما عائشة رضي الله عنها أيضا. يقول المصلح الموعود عليه السلام: إن ما روته عائشة رضي الله عنها هنا يعني فقط أن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وآله عن طريق ملائكته أن اليهود قد حاولوا أن يسحروه، ولا يعني ذلك أن سحرهم كان قد أضر في النبي صلى الله عليه وآله بالمعنى التقليدي الشائع للسحر، ثم يقول حضرته لما أخرج النبي صلى الله عليه وآله من البئر ما حاول به اليهود سحره، ودفعه، وظنوا (أي اليهود) أن سحرهم المزعوم قد بطل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى شفى الله نبيه صلى الله عليه وآله أيضا. خلاصة الكلام أن اليهود كانوا يوقنون أنهم قد سحروا النبي صلى الله عليه وآله فكان طبيعيا أن يركزوا على أن يمرض.

يقول حضرته عليه السلام: هذه الرواية إذ تدل على ما كان اليهود يكتونونه من عدااء شديد للنبي صلى الله عليه وآله فإنها تبين أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله كان رسول الله حقا، ذلك لأن الله تعالى قد أخبره بمكايد اليهود ضده، فاطلاعه على هذا الغيب وفشل اليهود في هدفهم الخبيث، للدليل ساطع على أنه صلى الله عليه وآله كان نبيا صادقا.

على أية حال، الحقيقة هي كما استنتج المصلح الموعود عليه السلام أن اليهود سحروا النبي صلى الله عليه وآله بزعمهم ولكن لم يكن له أي تأثير على النبي صلى الله عليه وآله، أما مرضه صلى الله عليه وآله أو النسيان فيمكن أن تكون له أسباب أخرى. ولكن الله تعالى أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن مكايد اليهود هذه وهكذا أبطل في الظاهر زعمهم بأنهم قاموا بالسحر. وانكشفت حقيقة الفرحة المزعومة لليهود الذين كانوا يفرحون برؤية مرض النبي صلى الله عليه وآله وأخذوا ينشرون بين الناس أن مرضه نتيجة سحرهم.

في أدبيات الجماعة مقال لحضرة مرزا بشير أحمد عليه السلام نوقش فيه هذا الحادث تاريخيا وعلميا مما يوضح هذا الأمر أكثر، حيث كتب عليه السلام: ورد في التاريخ بل في الأحاديث أن منافقا يهودي الأصل يدعى ليلى بن الأعصم سحر النبي صلى الله عليه وآله -والعياذ بالله- بعد صلح الحديبية، وكيفية هذا السحر أنه عقد شعرا في مشط وقرأ عليه شيئا ودفنه في بئر، ويقال ظل النبي صلى الله عليه وآله متأثرا بهذا السحر مدة طويلة. هذا ما أذاعوه. وفي هذه الفترة كان صلى الله عليه وآله حزينا ومكتئبا ويرجع إلى الدعاء مرة بعد أخرى مضطربا، وكان أبرز جانب لهذه الحال أنه كان ينسى كثيرا في تلك الأيام، حتى كان يُحِيل إليه في كثير من الأحيان أنه فعل شيئا ولم يكن فعله في الحقيقة، كما كان يظن أن زار زوجة له ولم يكن قد زارها. يقول عليه السلام في شرح هذا الأمر: من الجدير بالذكر هنا أنه كان أسلوب النبي صلى الله عليه وآله أنه بحسب أحكام الإسلام كان قد حدد نوبة لكل زوجة له وإضافة إلى ذلك كان يزور جميع زوجاته كل مساء ويسألهن عن حالهن، وأخيرا كان يصل الزوجة التي كان نوبتها في تلك الليلة. وفي الرواية المذكورة أُشير إلى هذا الأمر. باختصار، جاء في الرواية أيضا

أن الله تعالى كشف على النبي ﷺ حقيقة هذه الفتنة، هذا ملخص ما قد سلف ذكره في تفسير المصلح الموعود ﷺ وهذا الحديث جاء في صحيح البخاري بين (مرزا بشير أحمد) ﷺ ملخصه ثم كتب: هذا ملخص الرواية التي وردت في كتب التاريخ والأحاديث، وقد نُسجت حول هذه الرواية شبكة قصص بحيث يصعب الوصول إلى الحقيقة. كتب ﷺ: لو قبلنا جميع الروايات ثبت أن شخصية النبي ﷺ المباركة والمقدسة كانت ضعيفة للغاية -والعياذ بالله- بحيث كان أعداؤه الأشقياء يستطيعون أن يحولوها بسحرهم إلى أي قالب يشاؤون، وأنهم بتركيزهم السيئ عليه كانوا يُسيطرون على قلبه وذهنه، وكان ﷺ يجد نفسه عاجزا -والعياذ بالله- مقابل سحرهم. لو سلّمنا بما ورد في الروايات الواردة في كتب التاريخ والحديث فلا بد أن تكون هذه هي النتيجة، وهي نتيجة خاطئة تماما ويستحيل أن يحدث ذلك. ولكن لو تأملنا في هذه الروايات عقلا ونقلنا وفحصنا الروايات على طريقة الباحثين لثبت أنه كان مجرد مرض النسيان الذي تعرض له النبي ﷺ لفترة قليلة نتيجة الأفكار العارضة والضعف، فاستغل الوضع بعض الأعداء الحاسدين وأشاعوا أنهم سحروا نبي المسلمين، والعياذ بالله، ولكن الله تعالى أعاد صحته بسرعة وسوّد بذلك وجوه الأعداء، وخابت دعاية المنافقين الكاذبة. الذي انتصر على القوى الشيطانية للعالم كله وكان أفضل الرسل الذي لم يولد إلى اليوم أعظم منه في دهس رأس القوى الطاغوتية ولن يولد، فإن الظن به أنه كان عرضة لسحر شيطاني لابن يهودي إنما هو سوء استخدام للعقل الإنساني. لا يمكن تصور ذلك، وهذا ليس ادّعاءنا فحسب، بل رفض سيد الكونين ﷺ نفسه هذا الأمر. ويتبين ذلك من الحديث الذي قالت فيه عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟! قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟! قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟! يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَعَمْ». وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ». (صحيح مسلم) فمع وجود هذا القول الصريح يمكن تصور أن يهوديا يكون قد سحر -مستعينا بشيطانه- عظيمًا مثل النبي ﷺ ويكون النبي ﷺ قد تأثر بسحره الشيطاني، وظل هائما ومغموما ومريضا إلى مدة طويلة؟! ظل الكذّابون يستخدمون مقابل الحق مثل هذه الحيل الباطلة والكاذبة في كل زمان ولكن الله القدير العزيز يفضح كذبهم دوما كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة ٢٢) أي لقد كتب الله أنه في زمن كل رسول سيغلب رسوله، ولا يمكن أن تُفلح أي حيلة شيطانية مقابله.

كتب ﷺ: ثم ينشأ السؤال إذا عن حقيقة هذه الواقعة التي وردت في صحيح البخاري على لسان عائشة رضي الله عنها. فلو تأملنا نظرا إلى سياق هذه الواقعة وإلى أساليب اليهود والمنافقين فلن يصعب فهم حقيقة هذه الواقعة. يجب أن نعلم أولا أن واقعة السحر المزعوم هذه وقعت بعد

صلح الحديبية، ورد في طبقات ابن سعد أن النبي ﷺ قرّر بناءً على رؤيا أن يخرج إلى مكة للعمرة، فخرج إليها ولكنه بسبب اعتراض قريش له في الطريق لم يفلح في بادئ النظر، وكان هذا صدمة عظيمة لأنه كان من المتوقع أن الكفار والمنافقين سيسخرون منه وسيطعون فيه، وقد اهتز بعض المسلمين المخلصين حتى ورد في رواية أن شخصا عظيما مثل عمر ﷺ أيضا كان قد تززع مؤقتا بسبب هذا الفشل الظاهري، وردت حال عمر ﷺ هذه في صحيح البخاري، فكان النبي ﷺ متأثرا جدا لخوفه من أن يقع ضعيفو الطبع في الابتلاء، وظل قلقا لفترة وأثر هذا القلق في صحته يقينا، وكان في هذا الاضطراب يدعو الله تعالى كثيرا كما وردت في الحديث كلمات "دعا ودعا"، إشارة إلى أنه كان يخشى أن يقع أي عائق مؤقت في طريق رقي الإسلام بسبب واقعة صلح الحديبية، وهذا الدعاء كان من نوع الدعاء الذي قام به النبي ﷺ في ميدان بدر مع وعد الله تعالى بالنصر، نظرا إلى قوة العدو الظاهرية، حيث قال: "اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض"، فكانت أعصاب النبي ﷺ وذاكرته متأثرة جدا بسبب هذه الأحوال. ورد في بعض الروايات أن هذه كانت حاله إلى أربعة أيام أو يومين أو يوم أو ليلة واحدة فقط، أيًا كانت المدة، فلمهم أنه تأثر بعض الشيء وهذا بمقتضى البشرية، (هذه النتيجة التي توصل إليها مرزا بشير أحمد ﷺ من أنه تأثر لبعض الأيام بسبب قلقه للإسلام ولضعف إيمان بعض المسلمين) وهذا بمقتضى البشرية الذي لا يُستثنى منها رسل الله أيضا. حين رأى اليهود والمنافقون أن النبي ﷺ مريض في هذه الأيام ومصاب بالنسيان بسبب ضعف الأعصاب وضعف الدماغ فبدؤوا يُشيعون كعادتهم أنهم سحروا نبي المسلمين، ابتغاء الفتنة، وأن نسيانه هذا نتيجة السحر، وبحسب طريقهم القديم وضعوا عُقدا للشعر في مشط ودفنوه في بئر كعلامة ظاهرة للسحر، وحين بلغ النبي ﷺ خبر سحرهم المزعوم تضرع إلى الله تعالى أكثر للقضاء على هذه الفتنة كما قالت عائشة من أن النبي ﷺ بعد أن بلغه هذا الخبر دعا كثيرا ذات يوم أو ذات ليلة وطلب من مولاه السماوي أن يُطلعه على اسم مثير هذه الفتنة وكيفية هذا السحر المزعوم لكي يمزق هذا السحر المزعوم، فسمع الله تعالى تضرعاته وكشف عليه الحقيقة في الرؤيا.

لقد بين القرآن الكريم المبدأ الأساسي: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه ٧٠) أي لا يمكن أن يفلح أي ساحر مقابل الأنبياء كيفما وحيثما شن هجومه، ثم في ضوء حكم القرآن الفيصل: ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء ٤٨) إنما هذا ادعاء الكفار الذي ورد في القرآن الكريم.

فبالتأمل في كلمات الحديث وأسلوب البيان ومحاورات العرب سوف تُفهم هذه الرواية الواردة في صحيح البخاري على أنها حكاية عن الغير، أي أن المتكلم يقول شيئاً من عنده ظاهرياً ولكن يكون المراد الحقيقي هو بيان الكلام لغيره. فقد ورد في رواية عائشة رضي الله عنها:

أَهَا قَالَتْ: سَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ (أي أشاع الأعداء أنه ﷺ سحر، لم تقل عائشة أن النبي ﷺ سحر بل هذا ما قاله الأعداء) حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ. وفي رواية: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟".

يقول مرزا بشير أحمد رحمته: إن أسلوب الكلام نفسه يوحي بأنه حكاية عن الغير. ثم ذكر الكلام الذي سبق ذكره قبل قليل: قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ وَأَنْ فُلَانَا الْيَهُودِي سَحَرَهُ وَهَذَا تَأْتِيرُ السَّحْرِ كَمَا يَزْعُمُ النَّاسُ. تقول الرواية: فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبَيْتِ فَظَنَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَحْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاعَهَا نُفَاعَةُ الْحِنَاءِ وَلَكَأَنَّ نَحْلَهَا رُغُوسُ الشَّيَاطِينِ (كان من عادة اليهود أن يلونوا ماء البئر ليخدعوا أعين الناس، كما سبق ذكره، وكانت النخيل تبدو كريهة المنظر مثل شجرة الزقوم)

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟، وفي رواية: أَفَأَحْرَقْتَهُ؟، قَالَ لَأ، أَمَا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشَيْتُ أَنْ أُتَوَّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا، وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

يقول مرزا بشير أحمد رحمته: اعلّموا أن أسلوب البيان حكاية عن الغير كان سائداً في العرب. وقد اختار القرآن الكريم أيضاً هذا الأسلوب في بعض الأماكن. فيقول الله تعالى مخاطباً أهل الجحيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي ذُق عذاب الله وكنّت عزيزاً كريماً. ليس المراد هنا أن الله تعالى يعدّ أهل الجحيم أعزة وكراماً بل الكلام هنا هو حكاية عن الغير، والمراد هو أن المخاطب وأصحابه كانوا يزعمونه عزيزاً كريماً، أي كان أهل الجحيم يزعمون أنفسهم أنهم كرام على الرغم من ارتكابهم السيئات، فقال الله تعالى: ذوقوا الآن عذاب الله. هذا هو الأسلوب نفسه الذي اختاره الرجلان أو الملكان اللذان رآهما النبي ﷺ في الرؤيا أو الكشف. فحين قالوا أنه ﷺ سحر لم يقصداً من ذلك أنه سحر بحسب رأينا بل الناس يقولون بأنه سحر. ولم يكن الهدف من الرؤيا إلا أن يُبطل الله سحرهم المزعوم وما أخفاه هؤلاء الخبثاء في البئر ليخدعوا به أشياعهم وليكشف الله تعالى لرسوله ما كان المنافقون يشيعونه. فهكذا كان بالضبط، إذ دُفنت أداة سحرهم ورُدّم البئر. وبذلك زال بصورة غير مباشرة قلق النبي ﷺ على الناس، إذ كان هؤلاء

الأشقياء يسعون لخداع البسطاء من الناس بمكائدهم هذه. وتحقق بكل جلاء وعد الله تعالى القائل: ﴿لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أي مهما قام الساحر بالمكائد لن يفلح مقابل الله ورسوله. على أية حال، يثبت من الحديث المذكور آنفا ما يلي، أولا: كان النبي ﷺ بطبيعة الحال قلقا نظرا إلى تقصير البعض بعد واقعة صلح الحديبية، فكان ينسى بعض الأمور الدنيوية المتعلقة ببيته. ثانيا: نظرا إلى حالته ﷺ هذه بدأ اليهود والمنافقون، الذين كانوا يريدون تشويه سمعة النبي ﷺ مستغلين مثل هذه الأمور، يروجون أنهم سحروا نبي المسلمين. (والعياذ بالله) إن مثل ترويجهم هذا الأمر كمثل تشويههم سمعة السيدة عائشة رضي الله عنها نتيجة تخلفها في غزوة بني مصطلق، وبذلك قاموا بسعي مذموم ليعكروا صفو حياة النبي ﷺ الطاهرة.

ثالثا: كعلامة ظاهرية للسحر المزعوم لخداع البسطاء من الناس جعل هؤلاء الأشقياء بواسطة منافق يهودي النسب اسمه لبيد بن عاصم مُشطا ومشاطة في بئر وشاعت أقاويل أحزنت النبي ﷺ أكثر.

رابعا: دعا النبي ﷺ في حضرة الله بتضرع شديد أن يسدّ فضله ورحمته باب هذه الفتنة ويكشف عليه ﷺ حقيقتها، ليتمكن من إزالة الفتنة وينقذ بسطاء الناس من العثار، فقبل دعاؤه. خامسا: سمع الله تعالى أدعيته ﷺ وفضح مكيدة لبيد بن عاصم. فذهب ﷺ إلى البئر بصحبة بعض من أصحابه ودفن المشط والمشاطة وردم البئر لاستئصال الفتنة من جذورها. ثم يبقى سؤال: معلوم أن النبي ﷺ هو نبي الله الأعظم شأننا بل هو أفضل الرسل وخاتم النبيين فلماذا أصيب بمرض النسيان الذي كان من شأنه أن يوقع الخلل في أداء مهام النبوة؟!

فليكن معلوما ردا على هذا السؤال أن كل نبي يكون نبي الله ورسوله من ناحية، وبناء على ذلك يتشرف بكلام الله تعالى، ويكون أستاذا لأتباعه في الأمور الدينية ويكون أسوة لهم. ومن ناحية ثانية يكون إنسانا مثل بقية الناس وتلازمه اللوازم البشرية والأخطار الطبيعية كلها التي تلازم أناسا آخرين، لذلك قال الله تعالى مخاطبا النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي أعلن أيها الرسول قائلًا: إني بشر مثلكم وتنطبق عليّ جميع القوانين مثل بقية الناس، غير أنني رسول الله أيضا، وقد أكرمت بالوحي والإلهام لهداية الخلق. ففي هذه الآية وُصف الأنبياء من وجهين بأسلوب جميل جدا.

أي من ناحية تم تمييزهم من غيرهم من البشر، ومن ناحية أخرى لم يُخرَجوا من صنف الناس. فالذي يظن أن الأنبياء أرفع عن لوازم البشرية ومما يواجهه الإنسان من الأخطار الطبيعية، فهو كاذب. فمن المؤكد أن الأنبياء أيضا يمرضون كسائر البشر، ويصابون مثلهم بالمalaria والتيفويد وغيرها من الأمراض.

فقد كتب حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله: أود أن أوضح هنا ضمناً أن العلامات الظاهرة الواردة في الحديث، تفيد أنه يمكن أن يتعرض الأنبياء أيضاً للأمراض مثل السلّ والرُّبو والنزلة والسعال والنقرس والدوار وآلام الأعصاب، وحدة الحس والاضطراب والقلق والإرهاق الذهني والنسيان والجروح نتيجة الإصابات والضربات في الشجار وغيرها، وظلوا يتعرضون لها فعلاً، ويفيد التاريخ أن النبي صلى الله عليه وآله توفي بحمى التيفوئيد، إلا إذا كان نبي قد تلقى الوعد من الله استثناءً بأنه سيعصمه من مرض معين فهذا أمر آخر. وإذا خطر ببال أحد هنا أن الله تعالى قد قال في القرآن الكريم: ﴿سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى ٧)، أي سنعطيك تعليماً لن تنساه، فيجب أن يتذكر جيداً أن هذا الوعد يخص وحي القرآن الكريم فقط، وهو ليس عاماً. والمراد من ذلك أن الوحي الذي سنوحيه إليك أيها النبي لهداية الأمة لن تنساه، وسوف نحفظه إلى يوم القيامة. وهذا الوعد لا يشمل شؤون الحياة اليومية والأمور المادية أو المراسم الظاهرة لأُمور دينية. فقد ثبت من الحديث أنه صلى الله عليه وآله كان ينسى في أمور كثيرة بمقتضى لوازم البشرية، بل قد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وآله نسي عدد الركعات في الصلاة وتذكر عند تذكير الناس. فهذه الرواية موجودة في البخاري ومسلم كليهما، ومثل ذلك كان ينسى في أمور كثيرة بل قد قال صلى الله عليه وآله عن نفسه: إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. فكما كان النبي صلى الله عليه وآله يصاب بالنسيان مؤقناً كذلك قد أصيب بمرض النسيان لمدة قصيرة بعد صلح الحديبية. فهذا هو التفسير الذي قدّمه بعض العلماء الأسلاف لرواية السحر. فقد قال العلامة المازري: ثمة أدلة قوية لا حصر لها وبراهين عدة على صدق النبي صلى الله عليه وآله كما تشهد على صدقه معجزاته أيضاً. أما الشُّرُون المادية العامة التي لم يُبعث من أجلها، فسيعدّ هذا الأمر من أعراض المرض كما يصاب الإنسان بأمراض أخرى.

ويقول العلامة ابن القصار: إن النسيان الذي أصاب النبي صلى الله عليه وآله كان مرضاً من الأمراض كما يتبين من الكلمات الأخيرة الواضحة للحديث، أي أن الله شفاني.

ملخص القول، إن حال النبي صلى الله عليه وآله المذكورة آنفاً بعد صلح الحديبية التي وصفها الأعداء نتيجة السحر، لم تكن ناتجة بأية حال من السحر وغيره، بل كان أصيب بمرض النسيان فقط نتيجة للظروف الحاصلة، واتخذها بعض الأشرار وسيلة للدعاية المعادية ضد ذلك الرسول المقدس صاحب الخصال الحميدة صلى الله عليه وآله. فالقرآن الكريم يفند موضوع تعرّض الأنبياء للسحر أصلاً، كما يرفض العقل الإنساني هو الآخر قبوله. وكلمات الحديث أيضاً تكذب الشرح الذي يقدم له. كما أن المكانة الرفيعة لسيد الكون وأفضل الرسل صلى الله عليه وآله تدحض قصة السحر.

لقد ذكر مرزا بشير أحمد رحمته الله: إنه لا يخلو من الفائدة بيان ما ورد في رواية حضرة الخليفة الثاني أيدته الله تعالى بنصره العزيز (فهذا كتبه في حياته رحمته الله) الواردة في الجزء الأول من كتاب سيرة المهدي برقم ٧٥:

جاء إلى قاديان هندوسي معاند من سكان غجرات، وكان ماهراً في التنويم المغناطيسي، فحضر إلى مجلس المسيح الموعود عليه السلام وبدأ يلقي عليه تأثير علمه بصمت لكي يدفعه عليه السلام إلى إصدار بعض التصرفات غير اللائقة، لكي يجعله هدفاً لسخرية الناس. وحين بدأ يلقي على حضرته عليه السلام هذا التأثير هرب من هناك صارخاً. فلما سئل عن ذلك قال حين أقيت على حضرة المرزا تأثير علمي رأيت أمامي أسداً هصوراً يكاد يهاجمني، فهربت خوفاً منه. ثم كتب حضرته إذا كان هذا هو مقام المسيح الموعود عليه السلام وهو خادم النبي صلى الله عليه وآله حيث لم يدعه الله تعالى ليخضع لتأثير التنويم المغناطيسي فكيف يمكن القبول بحق السيد صلى الله عليه وآله أنه تعرض لتأثير التنويم المغناطيسي أو السحر لأحد اليهود، والعياذ بالله، فهذا لا يستيسغه العقل.

في الأخير أود أن أقرأ عليكم بعض المقتبسات من كلام الحكم العدل لهذا الزمن، وهي تشمل جميع التوضيحات والشروح.

سئل المسيح الموعود عليه السلام: ما رأيكم في سحر أطلقه الكفار على النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: السحر أيضاً من الشيطان، فالرسل والأنبياء أرفع من أن يؤثر فيهم السحر مطلقاً، بل السحر يهرب منهم كما يقول الله تعالى: ﴿لا يفلح الساحر حيث أتى﴾. لقد واجه موسى أيضاً السحر، فهل غلب موسى في نهاية المطاف أم لا؟ ليس صحيحاً قط القول بأن السحر غلب النبي صلى الله عليه وآله، ولا يسعنا أن نقبله بحال من الأحوال. إن الاعتقاد بحرفية كل ما جاء في البخاري ومسلم ينافي مسلكنا. ولا يقبل العقل أيضاً أن ينطلي السحر على نبي عظيم الشأن مثله صلى الله عليه وآله. إن القول بأن النبي صلى الله عليه وآله فقد ذاكرته أو حدث كذا وكذا بتأثير السحر والعياذ بالله، لا يصح بحال من الأحوال. يبدو أن خبيثاً قد أضاف هذه الأمور من عنده. مع أننا نحترم الأحاديث ولكننا لا نستطيع أن نقبل الحديث الذي يناقض القرآن الكريم ويناقض عصمة النبي صلى الله عليه وآله.

لقد جمعت الأحاديث في تلك المرحلة، ومع أن المحدثين قد دونوها بتدبر وتفكر ولكنهم ما استطاعوا رغم الحرص أن يتخذوا الحذر والحيطه الشديدة.

كانت تلك المرحلة لجمع الأحاديث، أما الآن فهي مرحلة التأمل والتدبر. فتدبروا وادرسوا. كل حديث ينافي القرآن الكريم أو عصمة النبي صلى الله عليه وآله وقداسته فهو جدير بالترك، أو يمكن أن يكون له تفسير آخر، كما فعل حضرة مرزا بشير أحمد المحترم أو حضرة الخليفة الثاني رحمته الله.

ثم يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

إن جمع آثار النبي ﷺ عملٌ فيه ثوابٌ عظيم (أي أن تدوين أحوال حياة الأنبياء وسيرتهم عمل ينال صاحبه الثواب) ولكن المبدأ العام هو أن الذين يجمعونها لا يستطيعون أن يتأملوا فيها جيدا. فلكل واحد الخيار أن يتأمل ويتدبر جيدا وليقبل ما هو جدير بالقبول ويترك ما هو جدير بالترك. إن القول بأن النبي ﷺ قد سُحر -والعياذ بالله- يُضيع الإيمان. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، فالقائلون بمثل هذه الأقوال ظالمون وليسوا بمسلمين. يقول هؤلاء الملحدون الظالمون عن النبي ﷺ: إنه سُحر. ألا يفكرون أنه إذا كان هذا هو حال النبي ﷺ، والعياذ بالله، فما بالك بالامة؟! إنها ستغرق لا محالة. لا أدري ما الذي جرى لهؤلاء القوم إذ يقولون مثل هذه الأقوال بحق نبي معصوم ﷺ حسب الأنبياء جميعا بريئا من مس الشيطان؟!!

نحمد الله ﷻ على أننا ندرك المكانة العظيمة والمرتبة السامية للنبي ﷺ بعد الإيمان بإمام الزمان. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم إنك حميد مجيد.